

تفسير البحر المحيط

@ 480 @

وهذا التخوف بمعنى التنقص ، قيل : من أعماله ، وقيل : يأخذ واحداً بعد واحد ، وروى عن ابن عباس . وقال الزجاج : ينقص ثمارهم وأموالهم حتى يهلكهم . وقيل : على خوف ، على خوف أن يعاقبهم أو يتجاوز عنهم قاله قتادة . وقال الزمخشري : على خوف متخوفين ، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا ، فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون ، وهو خلاف قوله : من حيث لا يشعرون انتهى . وقاله الضحاك ، يأخذ قرية فتخاف القرية الأخرى . وقال ابن بحر : على خوف ضد البغته أي : على حدوث حالات يخاف منها كالرياح والزلازل والصواعق ، ولهذا ختم بقوله تعالى : إن ربكم لرؤوف رحيم ، لأنّ في ذلك مهلة وامتداد وقت ، فيمكن فيه التلافي . وقال الليث بن سعد : على خوف على عجل . وقيل : على تقريع بما قدّموه ، وهذا مروى عن ابن عباس . ولما كان تعالى قادراً على هذه الأمور ولم يعاجلهم بها ناسب وصفه بالرافة والرحمة . .

{ أَوْ لَمْ * يَرْوَوْا * إِلَى مَا خَلَقَ اللَّاهُ مِنْ شَيْءٍ * يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ
عَنِ الْيَمِينِ وَالْشِّمَالِ سَجْدًا لِلَّاهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّاهِ
يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ } : لما ذكر تعالى قدرته على تعذيب الماكرين وإهلاكهم بأنواع من الأخذ ، ذكر
تعالى طواعية ما خلق من غيرهم وخضوعه ضد حال الماكرين ، لينبهم على أنه ينبغي بل يجب
عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لأمره . وقرأ السلمي ، والأعرج ، والأخوان : أو لم تروا
بتاء الخطاب إما على العموم للخلق استؤنف به الأخبار ، وإما على معنى : قل لهم إذا كان
خطاباً خاصاً . وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة . واحتمل أيضاً أن يعود الضمير على
الذين مكروا ، واحتمل أن يكون إخباراً عن المكلفين ، والأول أظهر لتقدم ذكرهم . وقرأ
أبو عمرو ، وعيسى ، ويعقوب : تنفيئوا بالتاء على لتأنيث ، وباقي السبعة بالياء . وقرأ
الجمهور : ظلاله جمع ظل . وقرأ عيسى : ظل جمع ظلة ، كحلة وحلل . والرؤية هنا رؤية القلب
التي يقع بها الاعتبار ، ولكنها بواسطة رؤية العين . قيل : والاستفهام هنا معناه التوبيخ
. قيل : ويجوز أن يكون معناه التعجب والتقدير : تعجبوا من اتخاذهم مع الله شريكاً وقد
رأوا هذه المصنوعات التي أظهرت عجائب قدرته وغرائب صنعه ، مع علمهم بأنّ آلهتهم التي
اتخذوها شركاء لا يقدر على شيء البتة . والجملة من قوله : تنفيئوا ، في موضع الصفة قاله

الحوافي ، وهو ظاهر قول ابن عطية والزمخشري . قال ابن عطية : من شيء لفظ عام في كل ما اقتضته الصفة في قوله : تتفيؤ ظلاله ، لأنّ ذلك صفة لما عرض للعبرة في جميع الأشخاص التي لها ظل . وقال الزمخشري : وما موصولة بخلق اﻻ وهو مبهم بيانه من شيء تتفيؤ ظلاله ، وقال غير هؤلاء : المعنى من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم ، وقوله : تتفيؤ ظلاله ، إخبار عن قوله من شيء وصف له ، وهذا الإخبار يدل على ذلك الوصف المحذوف الذي هو له ظل . وتتفيؤ تتفعل من الفياء ، وهو الرجوع يقال : فاء الظل يفياء فيأرجع ، وعاد بعدما نسخه ضياء الشمس . وفاء إذا عدي فبالهمزة كقوله : { مَّـا أَفَاءَ اللَّـهُ عِلَّـى رَسُوْلِهِ } أو بالتضعيف نحو : فيأ اﻻ الظل فتفيأ ، وتفيأ من باب المطاوعة ، وهو لازم وقد استعمله أبو تمام متعدياً قال : % (طلبت ربيع ربيعة الممهي لها % .
وتفيأت ظلالها ممدودا .
%)